الجزء
٢
لاراسيا
إثارة ثأر
نجاح سلامة

إهداء

إلى كل من حمل الجزء الأول في قلبه، وعاد إلى لاراسيا بشغف وحنين...

إلى كل من آمن أن للعوالم الخيالية نبضًا يشبه قلوبنا، إليكم...
محبي سلسلة لاراسيا الجزء الثاني إثارة ثأر.

من أحبَّ ضحَّى، ومن ضحَّى خُلِّد... فليس
في هذا العالم ما يُبقي النور حيًّا سوى القلوب
التي اختارت أن تحترق لأجل من تُحب.

بعد عشرة أعوام من اختفاء (كيريل) وعائلته...

كان (هاير ن) يجلس كل يوم وفي الوقت نفسه عند الشاطئ؛ يأمل عودة ابنه الأكبر وزوجته وابنتهما التي قد أصبحت شابة جميلة الآن والطفل الآخر إن كان صبيًا أو فتاة...

تنهَّد (هاير ن) بيأس:

- هل أنتم فوق المياه أم تحتها؟ أم هل وصلتم إلى اليابسة بأمان أم أصبحتم تحتها أيضًا؟

تنهَّد بشوق وهو يُخيَّل إليه سفينة قادمة نحوه تحمل ابنه وعائلته، ثم تلاشى الخيال ليترك صفحة المياه خالية...

جلس ابنه الثاني (داريوس) إلى جانبه:

- أبي، هل أنت بخير؟

لم ينتبه (هاير ن) لدمعة قد انزلقت على وجنته بلا شعور فمسحها على الفور:

- (داريوس) بُني، هل هناك شيء؟

(داريوس) بابتسامة حزينة:

- أنا متأكد بأن أخي وعائلته بخير وأشعر أنهم بأمان في مكان ما...

(هاير ن):

- آمل ذلك بالفعل...

نهض (داريوس) وجلس أمامه وهو يمسك يده برجاء:

- لقد انتهينا من بناء السفينة وهي جاهزة للإبحار!

(هايرن) بتعجُّب حزين:

- انتهيتُم بالفعل؟

(داريوس):

- نعم وزوجتي (كاليستا) وابني قد بدأوا بالفعل بنقل حاجياتهم على متنها.

(هايرن) وهو يشيح بنظره عنه وكأنه لا يرغب بفعل هذا:

- في البداية رحل أخوك ليرى إن كان هناك أحياء غيرنا، والآن أشاهدك أنت وعائلتك ترحلون للبحث عنهم... هل الزمن يتكرر وهل أكرر نفس الخطأ. أم هذا تصحيح للخطأ السابق؟

(داريوس):

- إنها بداية لشيء جديد، أنا واثق.

مضت عدة أيام قليلة أخرى ودّعت (كاليستا) عائلتها وفعل زوجها (داريوس) المثل، حيث حاول مواساة والده وطمأنته بأنهم سيكونون بخير.

حتى جاء ذلك اليوم المنشود، كانت السفينة تستعد للرحيل وعلى متنها توقفت (كاليستا) تحتضن زوجها وهي تلوح بيدها للقبيلة التي

قدمت لتوديعهم. بينما ربت (هايرن) على كتف حفيده الذي في بداية عقده الثاني قبل أن يصعد إلى السفينة وهو يقهقه بحنان:

- حفيدي، أصبحت صبيًا وراشدًا كفاية لتخوض مغامرة كهذه الآن. عِدني أن تكون بخير، وأن تهتم بوالديك جيدًا!

أردف:

- بالتأكيد يا جدي... هذه المرة سأعود، لكن برفقة ابنة عمي (أمبروسين) وأخيها الصغير!

(هايرن) ممازحًا:

- لكن قد تملك (أمبروسين) أختًا؟ ألا بأس بذلك؟

الحفيد:

- لا يهم، ما دام سيكونون بخير.

(هايرن) وهو يحتضنه لآخر مرة:

- اذهب الآن... اذهب يا ابن (داريوس) و(كاليستا)!

تقدم الحفيد نحو الممر الخشبي ليصعد إلى السفينة وهو يتذمر:

- لديَّ اسم يا جدي!

شقت السفينة طريقها نحو المجهول، ومع كل يوم يمضي كانت السماء تصفو من الغيوم وتتحول تدريجيًا من البياض إلى الزُّرقة،

توقف (داريوس) في مقدمة السفينة وهو ينظر إلى السماء باستغراب وخلفه (كاليستا) تمسك بيد ابنهما:

- هل هذا أمر طبيعي؟

أجابها، لكن نبرة توتر كانت واضحة:

- في هذه الرحلة، لا أظن أنه سيكون هناك شيء طبيعي... فلنجارِ فقط التغيُّرات!

في تلك اللحظة، عبر أول خيوط نور الشمس من بين الغيوم التي بدأت تتقطع في السماء، فمد ابنهما يده وهو يبتسم بانبهار:

- ما هذا؟!

ما إن اخترقت يده هذا النور حتى بدأ يشعر بحرارة تزداد، ليخرج الدخان من جلد يده وهي تحمرُّ تدريجيًا، انبعثت خيوط أخرى بشكل أكبر فاخترق أحدها كتف (كاليستا) والآخر وجنة (داريوس)، وما إن شعرا بوخز حتى التفتت (كاليستا) إلى زوجها الذي صرخ بهما على الفور:

- احتميا حالًا!

من حسن حظهم أن تلك السفينة الصغيرة احتوت على قبو صغير خزنوا فيه الأسماك المتجمدة ليحتموا داخله.

أردف الابن:

- ما كان هذا؟

(داريوس):

- لقد انبعثت من قرصٍ ناريٍّ كان في السماء، لقد رأيته.

(كاليستا):

- ماذا سنفعل الآن؟

(داريوس):

- سنبقى كما نحن حتى نرى ماذا سيحدث.

بالرغم من مضي ذلك النهار لم يعلموا بعد أنّ السفينة قد غيرت اتجاهها مع الرياح لترسلهم إلى قدرٍ آخر.

أشعلت (كاليستا) المصابيح؛ فقد كانت عبارة عن شعل نارية داخل زجاجات شفافة، بعد أن غادرت الشمس لتنظر إلى السماء وهي تضع المصباح أرضًا:

- لقد حل الظلام أخيرًا...

(داريوس):

- يبدو أنها دورة.

(كاليستا):

- ماذا تقصد؟

(داريوس):

- على عكس عالمنا، فنحن نمضي شهورًا في الظلام ومن بعدها شهورًا مماثلة في النهار، لكن نهارنا يختلف فهو أبيض بلا قرص ناري.

(كاليستا):

- إذن؟

(داريوس):

- الوقت هنا يمضي أسرع، ففي نفس اليوم حل النهار والليل، لكن بأشكال مختلفة عما اعتدناه... إن كان تحليلي صحيحًا فالليل سيزول وستعود السماء زرقاء مجددًا خلال ساعات.

تقدم الابن:

- هل سنحتمي مجددًا يا أبي؟

(داريوس):

- أخشى أننا سنفعل ذلك.

مضى الليل وكان استنتاج (داريوس) في محلِّه، فحين أشرقت الشمس كانوا بالفعل قد احتموا مجددًا داخل القبو، أسندت (كاليستا) رأسها على صدر زوجها واستغرقت في النوم، بينما فعل الابن نفس الشيء بجانب والدته، نهض (داريوس) ببطء وهو يغطيهما وتسلل من

بينهما، ليجلس عند عتبة الباب في نهاية الظل وأمامه ضوء الشمس ينعكس على سطح السفينة... مد يده بحذر، لكن هذه المرة كانت وخزة الألم أقوى من السابقة، فسحب يده بسرعة وهو يتساءل:

- أخي (كيريل)، هل نجوت من هذا؟!

ثلاثة أيام، سارت السفينة لوجهة غير معلومة بعد، لكن بالتأكيد قد ابتعدوا كثيرًا عن موطنهم... حتى جاء هذا الأمر ليقلب الموازين.

كانت الشمس بالفعل قد غربت، لكن صراخ (داريوس) قد ملأ المكان:

- ابتعدا حالًا!

أردفت (كاليستا) بذعر وهي تحتضن ابنها:

- هل يمكن إصلاح الشق!

(داريوس) بنبرة متوترة وهو يقف عند الحافة الخشبية يطل نحو الأسفل:

- إنه ليس شقًا واحدًا! السفينة تغرق ببطء! يجب أن نغادرها!

(كاليستا) بذعر وهي تنظر إلى المياه حولها:

- إلى أين سنذهب؟!

نظر (داريوس) حوله بحذر ثم توجه وهو يتناول مطرقة كانت بدائية الصنع ليقوم بتحطيم مقدمة السفينة لقطع خشبية كبيرة، بفعله

هذا بدأت السفينة بالانهيار أسرع، والمياه قد تسربت إلى سطحها

(داريوس):

- اقفزا أولًا!

اقتربت (كاليستا) والصبي نحو الحافة لتخاطبه:

- سأنزل أولًا ومن ثم سأساندك.

أجابها:

- لا يا أمي، أنا من سيساندك.

لم يدع مجالًا للإجابة وقبل أن يقفز لمح ضوءًا من بعيد يقترب نحوهما، فانتبهت (كاليستا) أيضًا لهذا الضوء الذي يتجه بسرعة نحوهما.

توقف (داريوس) بعد أن أثار حيرته توقفهما ساكنين ينظران إلى الأفق:

- هيا أسرعا!

صمت على الفور حين استطاع سماع أصوات لأناس عدة يلهثون تعبًا وأحداهم يصرخ:

- جدفوا أسرع! جدفوا أسرع!

التفتت (كاليستا) إليه:

- ماذا يحدث؟

اقترب (داريوس) منهما:

- إنهم قادمون إلينا.

أمسكت كتف ابنها:

- من هؤلاء؟

ابتسم (داريوس) وهو ينظر إلى السفينة القادمة:

- من نبحث عنهم.

لم تحتمل السفينة لتغرق بهم، استندت (كاليستا) على الخشبة وبجانبها ابنها وعلى الجهة المقابلة (داريوس)، بينما صوت السفينة الأخرى أصبح قريبًا ومسموعًا. لحظات أصبحت دقائق طويلة وهم ينتظرون بلا خوف.

المياه سكنت والنجوم نُثرت في السماء لتنعكس على عينَي (كاليستا)، لكن نظرات (داريوس) لها كانت ساحرة أكثر من النجوم، انتبهت لتحديقه لها. حملت نظراتهما معاني كثيرة. قاطعها الصبي الذي همس وعيناه لا تفارقان السفينة التي توقفت أمامهم:

- إنهم هنا...

أُلقيت الحبال لإخراجهما من المياه، وساعدهما البحارة ليتضح فيما بعد أنهم حفنة من صيادي السمك قد أنهوا رحلتهم لليوم، وجمعوا ما يحتاجون من السمك.

ART_OF_BOOK

أردف أحد الصيادين وقد كان كبيرًا قليلًا في السن، شعره يملؤه الشيب:

- هل أنتم بخير؟

اقترب أحدٌ آخر من الصبي:

- يا إلهي، بشرتك شاحبة للغاية! أحضروا بطانيات أكثر وشيئًا ساخنًا ليشربه.

نظر الصبي إلى والديه بعدم فهم، بينما (داريوس) بقي يتفقد ملامح البشر الدافئة ثم عاد يتلمس وجهه، نهض واقترب ليأخذ البطانيات من الصياد وذهب ليغطي ابنه وزوجته...

اقترب من زوجته هامسًا:

- ملامحنا تثير الشبهة.

نظر إلى ابنه:

- ابقيا هكذا، لا تبرزا أنيابكما ولنقلدهما فقط حتى نجد حلًا.

(كاليستا) مبادلة الهمس:

- بشكل غريب أجد رائحة دماؤهم شهية.

(داريوس):

- لنتمالك أنفسنا فقط لهذه الليلة... يجب أن نصل إلى اليابسة على الأقل ويبدو أنهم يعلمون أين يتجهون.

استشعر اقتراب أحدهم فصمت على الفور وهو يشد على يد زوجته مطمئنًا.

الصياد:

- هذه المشروبات الساخنة ستساعدكم على الشعور بالدفء.

أخذ الصبي مشروبه وهو يراقب الدخان الصاعد ذا الرائحة الغريبة باستغراب، ثم ارتشف منه وعلى الفور بصقه.

الصياد:

- على مهلك، إنه ساخن للغاية.

أمسكت (كاليستا) بالكوب وهي تشمه ثم أبعدته عنها مشمئزة، أخذ (داريوس) كوبه وهو يشرب منه مستطعمًا إياه، ثم ابتسم للصياد:

- شكرًا لك!

التفت الصياد راحلًا بعد أن بادله الابتسامة، التفت (داريوس) لهما:

- ألقيا محتواه في البحر قبل أن يراكما!

(كاليستا):

- ما هذا الشيء؟

(داريوس):

- أظنه طعامًا خاصًا بالبحارة.

اقترب شاب من الصبي محاولًا فتح حوار معه:

- مرحبًا، أُدعى (أندرون).

لم يُجب الصبي واكتفى بالنظر إليه باستغراب.

شعر (أندرون) بالريبة، لكنه أخفاها تحت ابتسامة صغيرة:

- لا يبدو أنكم من سكان مملكة أدالبيرتا. من أين جئتم؟

الصبي باستغراب محاولًا إعادة نطق الاسم:

- أدالبيرتا...

(أندرون):

- آه حقًّا؟ إذن فهذا جيد، نحن أيضًا عائدون الآن إلى المملكة.

صمت الصبي مجددًا ليقطع الصمت بعد لحظات صوت معدته، فأجاب (أندرون) على الفور:

- ألا زلت جائعًا؟ هل أحضر لك المزيد من الشراب الساخن؟

الصبي:

- أريد دماءً.

عقد (أندرون) حاجبيه ثم انفجر ضاحكًا، استغرب الصبي من ردة فعله، لكنه انصاع لكلام والده بأن يجاريهم، فحاول تقليده...

(أندرون) وهو يمسح دموعه:

- لقد أخفتني يا هذا، ظننتك لوهلة تريد الدماء حقًّا.

ضحك الصبي متظاهرًا وهو لا يزال لا يستوعب ما يجري، فرمق والده بنظراتٍ قد فهمها.

أومأ (داريوس) له بأنه يبلي حسنًا... استجمع الفتى شجاعته ليسأل (أندرون):

- متى سنصل؟

(أندرون) وهو يشير إلى الأفق:

- سنكون في الميناء قبل حلول الفجر حتى نستطيع تسليم الأسماك في الموعد للتجار.

ساعات مضت وقد تظاهرت عائلة (داريوس) بالنوم ليتجنبوا الكلام مع الصيادين...

بدأت تتسلل إلى مسامعهم أصوات قوافل تسير وأناس يتكلمون، حتى أدق التفاصيل كصوت النيران وهي تتراقص فوق المشاعل. كان ول من فتح عينيه هو الصبي الذي لم يستطع إيقاف فضوله، فقد نهض لى الفور وهو يحملق في الميناء أمامه. استشعرت (كاليستا) نهوض نها ففتحت عينَيها تراقبه بحذر.

أردفت (كاليستا):

- هل وصلنا إلى ذلك المكان ما بعد المياه؟

(داريوس) بنبرة منبهرة وهو ينظر إلى أضواء المدينة أمامهما:

- نعم، لقد فعلناها.

بعد مضي قرابة الساعة، كان الصيادون يتجهزون لإنزال حاجياتهم فطلب أحدهم من (أندرون) إحضار صناديق السمك وهو سيتبعه بعد لحظات. أومأ (أندرون) رأسه بالإيجاب وهمّ بالتوجه إلى صناديق السمك.

ما إن وصل حتى توقف وهو يخاطب الصبي الذي كان يوليه ظهره ويضع كلتا يديه داخل الصندوق:

- لا، مهلًا! لا يجدر بك أن تفتحها.

التفت الصبي إليه وفمه مليء بالدماء، تجمَّد (أندرون) مكانه للحظات وحينها لمعت أنياب الصبي تحت ضوء القمر، عاد (أندرون) عدة خطوات إلى الخلف في ذعر، وهو يفرك عينَيه بقوة غير مصدق، وحين أزاح يده من أمام ناظرَيه كان الصبي قد اختفى والصندوق مغلقًا كما كان سابقًا.

جاء الصياد الذي طلب منه الذهاب أولًا وحين وجده واقفًا متسمرًا مكانه لم يفعل شيئًا، نهره بعتاب:

- ألم تحرِّك الصناديق بعد!

تلعثم (أندرون) بارتباك:

- لقد رأيت... أنيابًا...

قهقه الصياد بسخرية:

- يبدو أنك فقدت عقلك في هذه الرحلة. هيّا، ساعدني قبل أن تُطرد من هذا العمل.

كانت (كاليستا) تغطي فم ابنها وهي تراقب (أندرون) من بعيد بقلق وبجانبها (داريوس) يراقبه أيضًا بحذر.

(داريوس):

- لنرحل بسرعة من هنا!

زامن كلامه توقف السفينة وقد أُلقي بخشبة عريضة نحو أرض الميناء، وبينما انشغل الصيادون بنقل الأسماك، غادر (داريوس) وعائلته السفينة دون أن يثيروا الانتباه.

ذلك الحماس تبدد على الفور حين ساروا بين الشوارع، نظرات الناس كادت تخترق عظامهم... لقد نُظر إليهم على أنهم غرباء مجانين بلباسهم هذا وملامحهم الباردة.

أردف الصبي وهو يراقب مجموعة من الناس يجلسون أمام متجر كبير يبيع الطعام، وهم يتناولون الدجاج واللحم المشوي:

- ما هذا الذي يأكلونه؟

نظرت (كاليستا) إلى زوجها باستغراب مماثل، فركّز حاسة شمّه ليردف باشمئزاز:

- لا أظنه شيئًا سنحبذ نحن تناوله.

الصبي ملتفتًا إلى والده:

- وما الذي سنأكله؟

انتبهت (كاليستا) لامرأة سمينة بعض الشيء تمسك بدجاجتين حيتين وهي تتجه نحو ذلك المتجر الخاص بالطعام، ثم دخلت وكأن المكان ملكًا لها، ركزت حواسها معها فاستطعت سماعها وهي تأمر الطاهي بذبح الدجاجتين والتخلص من الدماء في الصندوق السليم، حتى لا يتسرب إلى الأرض وتصبح الرائحة كريهة، شدَّدت على كلامها وكأنها تنبِّه فقد بدا أنها ليست أول مرة يلطِّخ أرضية المطبخ بالدماء.

(كاليستا):

- سنسرق تلك الصناديق.

الصبي:

- لكن هذا فعل خاطئ يا أمي.

(كاليستا):

- إلى أن نجد طريقة أخرى يا عزيزي لننجو.

هز الصبي رأسه بتفهم. وبالفعل استطاع (داريوس) إحضار تلك الصناديق ما إن وضعها الطاهي خارجًا وقد أشبعوا معدتهم بتلك الدماء.

(داريوس):

- يجب أن نجد مأوى وحينها سأتكفل أنا بإحضار الطعام.

ساروا مكملين طريقهم، وحينها بدأت الشمس تنير السماء، التفتت (كاليستا) بقلق نحو زوجها:

- يجب أن نحتمي!

فجأة هرول الصبي مبتعدًا عنهم. صرخت (كاليستا) عليه:

- أين تذهب؟ عُد لهنا!

عاد بعد لحظات وقد سرق ثلاث قبعات من القش تشبه المظلات، وناولها والدَيه:

- يجب أن نهرب قبل أن يمسكنا الباعة!

بالفعل هربوا مبتعدين بالرغم من أن أحد التجار تتبَّعهم وهو يصرخ:

- لصوص! لصوص!

(كاليستا) أردفت وهي تجري بانبهار:

- هل سرقت هذه القبعات؟

هز الصبي رأسه بفخر:

- نعم، فقط حتى نجد حلًا آخر.

(داريوس) وهو يغير مساره نحو زقاق معتم:

- من هنا!

غيَّر التاجر اتجاهه، وما إن دخل الزقاق حتى اختفى أثرهم، شتم
بغضب ثم التفت ورحل باستسلام.

ظهر (داريوس) وهو يردف بحزم:

- يجب أن نبتعد عن الأماكن المزدحمة.

(كاليستا) وهي تتقدم لتظهر بجانبه ممسكة بذراعه بكلتا يديها:

- لكن أين سنذهب؟

(داريوس):

- إلى حيث سيأخذنا القدَر... لِنَسِرْ ولا نتوقف.

تحت أشعة الشمس استطاعوا بقبعاتهم تلك الاحتماء والنجاة من
الاحتراق، ساروا ساعات بقلوب ترجو أن تجد مرادها. وعقول تفكر
بطرق للنجاة، في حين بدأت الشمس تغرب، كانت أقدامهم قد قادتهم
نحو غابة كثيفة بالأشجار، عدد كبير من الحشائش والنباتات لم يسبق
لهم رؤيتها من قبل. أردفت (كاليستا) بذهول:

- أشعر براحة غريبة هنا.

الصبي:

- ألا نستطيع البقاء هنا؟

(داريوس):

- إن بقينا فلن نستطيع إيجاد أخي وعائلته. فلنستقر على الأقل في قرية صغيرة.

(كاليستا):

- هل سيرحِّبون بنا؟ فقد رأيت نظراتهم لنا سابقًا.

(داريوس) ملتفتًا إليها وهو يمسك بكتفَيها بحنان:

- سنتشبَّه بهم وسنخبرهم بأننا من مملكة بعيدة، لا تقلقي!

تغيرت ملامحه وعبست وهو ينظر إلى الأرض مكملًا:

- وفي أسوأ الحالات، إن لم يرضوا بنا سنغادر.

الصبي:

- ماذا لو أذونا يا أبي؟

(داريوس):

- سنؤذيهم بالمثل، لكن آمل ألا نصل إلى هذا.

(كاليستا) وهي تمد يدها لتمسك بيد ابنها وتردف بنبرة هادئة مطمئنة:

- فلنبقَ معًا فقط، وسنكون بخير.

التفت (داريوس) فجأة إلى الخلف:

- مهلًا، هل تسمعون هذا؟

ركزوا سمعهم، وحينها استطاعوا تمييز صوت وقع أقدام رجال يهتفون مرحًا...

أشار (داريوس) برأسه إليهما ليتبعاه واتجه نحو الرجال. وحين وصلوا أشار إليهم مجددًا بالصمت واللحاق بهم، دقائق قليلة من السير مضت، وحينها انبهروا مما رأوه.

القرية الصغيرة، رغم مساحتها المحدودة، كانت نابضة بالحياة. بيوتها القديمة، المبنية من الحجر والطين، تحمل نوافذ خشبية صغيرة وأبوابًا عتيقة منحوتة بدقة، وأسقفها مغطاة بالقش المجدول، مما يمنح كل بيت شعورًا بالدفء والأمان.

الداخل واسع بالنسبة لمساحتها، فحين ركز الصبي بصره لما داخل النوافذ وجد غرفة تحتوي على مساحة تكفي للحركة بحرية، وتتناثر على الجدران رفوف خشبية تحمل أدوات المطبخ والأواني الفخارية.

في الأزقة الضيقة، تمتزج رائحة الخشب والفخار الطازج مع عبير الأعشاب والزهور من الحدائق الصغيرة خلف البيوت.

حتى مع قرب المساحات، لم تخلُ القرية من الخدمات؛ فهناك بئر الماء المركزية، وحانات صغيرة، وأماكن للتجمع حول النار، حيث يتبادل أهل القرية أخبار يومهم.

الناس هنا، أناروا القرية بابتساماتهم ودفء قلوبهم، يُظهرون

على وجوههم علامات التعب من العمل في الحقول والحدائق، لكن أعينهم تحمل الطيبة والفضول والحكايات القديمة.

انتظروا طوال النهار خارجًا يراقبون بانبهار ويحاولون تقليد بعض البشر استعدادًا للاندماج والتواصل معهم ومع غروب الشمس، أُشعلت الإنارات على الشوارع الرئيسية لتضفي لمعة ساحرة للمكان. بينما تُسمع أصوات الأطفال وهم يجرون خلف الدواجن لوضعها داخل أقفاصها. كل شيء هنا، من البناء إلى رائحة الهواء إلى وجوه الناس، يحكي قصة دافئة مليئة بالسكينة.

نظرت (كاليستا) إلى زوجها وهي تبتسم باطمئنان والصبي ينظر إليها مبتسمًا لابتسامتها، فيبدو الآن أنهم قد وجدوا رأس الخيط لوجهتهم الأولى. مكانًا قد يتعلمون أساليب عيش هذه الكائنات الدافئة وكيف ومن أين جاءوا.

لم تكن بداية الحياة في هذه القرية صعبة كما ظنوا، بل على العكس تمامًا استضافوهم أهل القرية بكل كرم، وبالمثل عائلة (داريوس) تأقلموا بسرعة في بيئتهم الجديدة. فقد استطاعوا بناء منزل بعد أن آعطوهم أهل القرية أرضًا زراعية خاصة بهم. ليزرعوا ويبدؤوا بجني المال مما يحصدونه، كان الصبي يزرع في الليل وينتهي قبل شروق

الشمس و(كاليستا) تقوم بحصد ما نضج من الثمار في النهار وعند الغروب كان (داريوس) يأخذ المحصول ويبيعه للتجار.

لم يشعروا بالوقت لتمضي خمس سنوات بسرعة.

أصبح الصبي يعيش حياة البشر بكل يُسر ووالداه أيضًا، لكن من كان يدري بوجود قلوب سوداء تنبش للإطاحة بهم بدافع الغيرة.

بالرغم من حذر عائلة (داريوس)، إلا أن هذا الحذر والأمان لم يكن سوى فخ.

ليلة واحدة غيرت الأقدار لتجلب لعنة قاسية على المملكة. أطاح الرجال بـ(داريوس) بعد أن اتهموه بالسرقة وممارسة الشعوذة بوجود تلك الدماء المخزنة في زجاجات داخل منزله حين لمحها أحد السكان ووشى بهم للآخرين، فحين بدأت الزيارات بنية التأكد من زجاجات الدماء وجدوها حقيقة وليست إشاعة مختلقة، وحين أرادوا عقابه بالضرب ردعهم، ولكن لردعه ثمن قاسٍ فلم يتهالك نفسه وظهرت ملامحه الحقيقية لهم، عاد الرجال بضع خطوات إلى الخلف وهم يصرخون:

- وحش! أنياب! انظروا إلى عينَيه!

حاول (داريوس) التبرير:

- لا، أرجوكم! أقسم لا أنوي إيذاءكم، فقط أردت إبعادكم.

لكن لسوء حظه غدره أحدهم ليغرز سيفه في ظهره ليخترق جسده ويخرج نصله من معدته، ففقد وعيه وانهار أرضًا.

في تلك الأثناء كان ابنهم خارجًا للبحث وتجميع الحطب بعد أن طلبت والدته منه ذلك لنفاده في المنزل، انتظرت (كاليستا) بقلق عند عتبة الباب فليس من عادة زوجها أو ابنها التأخر هكذا، خاصةً وأنها كانت تشعر بوجود خطب ما بسبب نظرات المارة إليها.

فجأة رأت مجموعة من النساء يقتربن منها غاضبات. حاولت ببراءة سؤالهن:

- هل كل شيء بخير؟

صرخت إحدى النساء:

- أيتها الساحرة! هل جئتِ للعن القرية أنتِ وعائلتك!

أردفت (كاليستا) بذعر:

- ماذا؟ لا!

اقتربت امرأة تصفعها بغضب:

- يكفي تظاهرًا! واكشفي عن وجهك الحقيقي!

اقتربت امرأة أخرى تضربها بقدمها أيضًا ثم الأخرى، حتى انهال النساء عليها بالضرب.

نفثت (كاليستا) الدماء من بين شفتيها وهي تئن ألمًا وتتوسلهم بالابتعاد، لكن ضربهم لها لم يتوقف، بل اشتد لتخرج (كاليستا) عن السيطرة وتهم بدفع إحداهن بقوة جعلتها تسقط أرضًا ويرتطم رأسها بالصخر أسفلها لتفارق الحياة فورًا.

صرخت النساء وهنّ يتوجهن إلى جثة المرأة ثم صرخت إحداهن بعد أن تأكدت من موتها:

- لقد قتلتها!

جثت (كاليستا) على قدميها وهي تبكي:

- أقسم أنِّي لم أتعمَّد فعل ذلك! أرجوكم، سنغادر بهدوء إن كان هذا ما تريدونه.

هرول رجل قادم من آخر الطريق وهو يمسك ورقة بين يدَيه:

- لقد جاء أمر الملك!

توقفن وهُنَّ ينظرن إليه بترقب. فأردفت (كاليستا) بذعر وعدم فهم:

- أمر الملك؟

أجابتها إحداهن بحنق:

- لقد اشتكيناك وعائلتك إلى الملك وأخبرناه بالأفعال الشنيعة التي تمارسونها.

أردف الرجل وهو يقرأ الأمر بصوت عالٍ:

- على كل ساحر ينفذ عقوبة الحرق، فأحرقوا عائلة (داريوس) بتهمة الشعوذة ولا ترحموهم!

وخلفه حضر وفد من الجنود يحملون شعار قصر مملكة أداليبرتا، لتنفيذ العقوبة.

كشَّرت (كاليستا) عن أنيابها بذعر وهي تتوسَّلهم:

- أرجوكم، لا أريد إيذاءكم!

فاستعدت للمواجهة والدموع تملأ وجنتيها حتى وصل رجل آخر وهو يلهث:

- لقد قُتل (داريوس).

انهارت (كاليستا) على قدمَيها وقد فقدت إحساسها بما يجري.

اقتيدت (كاليستا) بين الأيادي الغاضبة، تتعثر تحت نظراتهم المشحونة بالكره، وهي مغطاة بدمائها فوق الجروح التي التأمت، لكنها تركت آثارًا لضعف جسدها وحاجتها إلى الدماء، كانت أنفاسها متقطِّعة، وصوتها المبحوح يتردد كهمس في عاصفة:

- أرجوكم! لم أؤذِ أحدًا. لم أقصد...

لم يكن هناك سوى صدى الاتهامات، ووهج المشاعل التي تقترب شيئًا فشيئًا من المنصة الخشبية.

كان الجنود قد ثبّتوها بالأغلال، والسلاسل المعدنية الباردة تمزق معصميها بينما اللهب يتراقص على أطراف الخشب الجاف.

هتف الجميع وهم يحملون شعلات نارية:

- احرقوها! احرقوا الساحرة!

أضرمت النيران حولها لتشق طريقها نحو جسدها.

شهق (داريوس) بقوة وهو ينهض بألم بعد أن التأمت أعضاؤه الداخلية الممزقة، فاستطاع شم النيران وسماع أنين وتألم زوجته، لا سيما الهتافات التي تطالب بحرقها:

- (كاليستا)!

تحامل على نفسه وهمَّ بالركض بسرعة قاطعًا تلك المسافة وهو يترنَّح نحو منصة الإعدام التي ثبتت (كاليستا) عليه والنيران من حولها تلتهم جسدها ليصرخ باسمها...

لكن النيران لم تنتظر صرخته. بدأت تلتهم الخشب، ثم الثوب، ثم أطراف جسدها الناعم الذي لم يعرف دفء الشمس من قبل.

ارتجف وجهها وسط الدخان المتصاعد، والدموع تنساب ممزوجة بالرماد.

ركض بسرعة مجددًا ليصبح أمامها، احتضنها وهو يحاول فك قيودها. لتستوقفه بنبرة خافتة متألمة من الاحتراق:

- لا تفعل! أرجوك، ابتعد!

(داريوس) بنبرة مرتجفة:

- أرجوكِ، لا تقولي ذلك! سأخرجك من هنا. تحمَّلي قليلًا!

أسدلت رأسها على صدرها وهي تبكي بصمت لترى أمامها وعند المنازل طفلها ينظر بذهول وذعر وقد برزت أنيابه واسودَّت عيناه. همست ليسمعها:

- أرجوك، لا تفعل! عزيزي، أحبك. لذا لا أرغب في أن يقتلوك أيضًا. عُد إلى جدِّك!

التفت (داريوس) إلى ابنه، فهمس بقلق بعد أن تيقَّن من أنه لا مفر الآن:

- بني، عُد إلى جدِّك!

أغمضت عينَيها وانهار جسدها بين ذراعَي (داريوس) الذي بدأ يبكي لفراقها، فاحتضنها بقوة وهو يرجوها ألَّا تغادر. لكن للنيران رأي آخر. فقد اندفعت دفعةً واحدة، واحتضنت (داريوس) معها ليتناثر في النهاية رمادهما المتوهِّج.

هدأ سكان القرية لتردف إحداهن:

- لا يزال الصبي طليقًا!

ما إن التفتوا وهمُّوا بالبحث عنه حتى انطلق هاربًا مُلقيًا كل ما كان بين يدَيه من حطب. كان يصرخ ويبكي بألم لفراق والدَيه ورؤيتهما يحترقان بهذا الشكل. وكأن السماء كانت تشهد ما يحدث لتهطل بأمطارها مخفية بذلك صوت جري أقدامه وأنفاسه المتلاحقة.

دقائق أصبحت ساعات لتصبح أيامًا كان يجري فيها بلا توقف، بُح صوته لكثرة نحيبه وصراخه حتى وصل إلى الشاطئ. إلى المكان الذي بدأ كل شيء منه. سرق قاربًا صغيرًا وأبحر به لتقوده الأمواج إلى الشمال.

ما إن ابتعد عن اليابسة حتى استلقى على سطح القارب منهك الجسد والقلب. لكن من كان يدري أنه قد فقد وعيه ولم ينم.

أيام قليلة أمضاها في البحر، جسده يضعف يومًا بعد يوم، تقيه تلك الأقمشة فوق جسده ورأسه من أشعة الشمس، اشتدَّت البرودة واختفت الشمس عن الأفق. وكعادة (هايرن) فقد كان يجلس ساعات طويلة أمام الشاطئ يفكر بمصير ولدَيه وعائلتيهما. حتى لمح من بعيد قاربًا يقترب بلا قبطان.

نظر بحذر، لكن بالرغم من عدم ظهور أحد، إلا أنه استطاع سماع أنفاس بطيئة تئنُّ ألمًا شديدًا.

كان الصبي يهلوس باسم والدَيه ويطلب ألّا يغادرا، فما إن سمعه (هاير ن) حتى شق طريقه بين المياه نحو القارب الذي علق فجأة مكانه.

صرخ بقوة حين لمح حفيده بحالة يُرثى لها، وعلى إثر صراخه تجمَّع ذوي الدماء الباردة حول الشاطئ.

جذب (هايرن) حفيده ليخرجه من المياه الباردة بقلب مكسور، وباقي ذوي الدماء الباردة ينظرون بألم لحالته. فيبدو أنه يحمل معه قصة مؤلمة من بين البحار.

سابقًا في أسطورة مندثرة (تذكير)...

بعد توافد جثث غريبة وحطام لقوارب على شاطئ قبيلة تتغذى على الدماء يُدعون بالدماء الباردة، قرر ابن كبير قريتهم (كيريل) خوض الرحلة في البحر ليكتشف أي حياة أخرى غيرهم. ولكن صادف أن زوجته الحامل (أندروميدا) وابنته (أمبروسين) كانتا قد تسللتا على متن القارب ليشاركاه رحلته، لكن في الوقت نفسه كانت هناك حرب قائمة بين مملكتَي كيفوروس ولاراسيا حيث انتصرت بها لاراسيا بإبادتهم وأُسر من حاول الهرب، وقتل ملوك كيفوروس بالإبقاء على حياة الأميرة الصغيرة (ريديا) فقط ليقبض عليها أثناء هربها فجُرت كرهينة، وما إن وصلت إلى قصر لاراسيا الكبير حتى أثار جمالها ذهول وصيفات القصر لتُجبر على أن تكون جارية للملك، لكن للجاريات الأخريات رأي آخر، فقد أرادوا إنقاذها والانتقام من الملك الطاغي (إيدن) بدس السم في شرابه، وبعد اغتيال الملك هربت (ريديا) من القصر بمساعدة ولي العهد الذي بدأ يكن المشاعر لها دون أن يعلم قصتها ومن هي. لكنها هربت بعد ذلك لتختفي تسعة عشر عامًا، حينها كانت قد شيَّدت جيشًا من رجال كيفوروس لتعود إلى القصر منتقمة. بينما عائلة (كيريل) قد قتلوا عائلة قادمة من إيليوس تُدعى (إيريبوس) لينتحلوا هوياتهم ويصبح (كيريل) الطبيب الملكي القادم

- كيف؟!

(جويس) وهي تتذكر لقاءها في الغرفة الممنوعة قبل بدء الرقصة:

- اضطررت إلى إخبارها بذلك.

(سالار):

- لكن ذلك لا يعني أنها ستغير من موقفها تجاهي؟

(جويس):

- لا يشترط أن نثبت بالكلمات موقفنا؛ فأحيانًا أفعالنا قد تكون بمعنى أصدق وأعمق من مجرد كلام.

(سالار):

- وماذا فعلت إذن؟

(جويس) وهي تنظر إليه بابتسامة تحمل معاني عميقة:

- (ريديا) كانت ستقتلك أمام الملأ وتعلن عن هويتها، لكن بدلًا من ذلك حبَّذت عدم إيذائك وغيرت خطتها من قتلك إلى اختطافك، لذلك أُوقعَ بها بسهولة وفشلت خطتها.

أكمل الصمت حوارهما ليقطعه بعد دقائق (سالار) وهو ينهض:

- لديَّ خطة سترضي الجميع دون مزيد من الخسائر.

(جويس):

- ماذا ستفعل؟

(سالار):

- كيفوروس ستعود إلى مجدها وسأحقق لها رغبتها.

ابتسمت (جويس) ثم تلاشت ابتسامتها بسرعة:

- لكن ذلك سيجعلك تبدو ملكًا ضعيفًا بالنسبة لشعبك.

(سالار):

- وبالنسبة للأميرة (ريديا) لقد استطاع جواسيسي من الممالك الأخرى نقل أخبارهم لي بأنهم قد علموا بعودتها ومحاولتها استرجاع الحكم، لكن حسب القانون الذي وُضع قبل عشر سنوات، فلا يحق للإناث تولِّي الحكم، كيفوروس لن تصبح مشكلتها مع لاراسيا فقط، بل مع إيليوس وأوريليا وحتى قد تتدخل الممالك البعيدة باندسيا وأدالبيرتا وإريغون! سنعيد مملكة كيفوروس لكن لن تحكمها (ريديا).

(جويس):

- فعلًا! معك حق جلالتك. وهكذا عند تنحي (ريديا) سيُنصب ابنها ملكًا لكيفوروس. لكن ماذا عنك؟ فلا يمكن لـ(ريديا) البقاء في لاراسيا؛ ذلك قد يهدد حياتها وحياتك.

(سالار):

- ومن قال إنني سأبقى؟

نظرت إليه (جويس) بحيرة فأكمل:

- الأمير (أرتيم) لم يعلن بعد عن مهامه، لكن لديَّ مهمة خاصة له.

(جويس):

- ماذا تقصد.

(سالار):

- سيستلم ولي العهد الحقيقي لهذه المملكة العرش. (أرتيم) كان من المفترض أن يكون هو الملك، فهو ابن الملك (إيدن) الحقيقي.

بعد سنة ونصف...

1

خرج شعب لاراسيا إلى خارج منازلهم ومتاجرهم وهم ينظرون إلى السماء التي هطلت عليهم بالثلوج لأول مرة معلنةً عن انتهاء الخريف. يمدون أيديهم لتتساقط على كفوفهم حبات الثلج نفس الأشكال الغريبة.

بعضهم من كان يكره هذا الفصل عادوا إلى منازلهم يحكمون إغلاق النوافذ والأبواب ويشعلون مواقدهم. بينما الأطفال كانوا أكثر من ينتظرِ هذا الفصل فامتلأت شوارع لاراسيا بهم وهم يركضون بحماس ويتسابقون لالتقاط حبات الثلج قبل أن تصل إلى الأرض وتذوب.

لكن في مكان أبعد حيث الغابات التي أصبحت صفحة بيضاء خلال ساعات منذ بدء نزول الثلوج، وأصبح سمك الثلج بحجم نصف ذراع...

صرخت (أمبروسين): توقف! هل جُننت؟!

ضحك (أرتيم) وهو يعود عدة خطوات إلى الخلف ليقف على قمة جبلية:

- لماذا؟ ماذا سيحدث؟

(أمبروسين) بنبرة محذرة:

- (أرتيم)، توقف عن ذلك وابتعد عن الحافة! ستسقط!

نظر (أرتيم) من فوق الحافة إلى الأسفل، فعاد يقهقه مجددًا بينما (أمبروسين) تحاول السيطرة على أعصابها وهي تثنيه عن التهور.

(أرتيم) مردفًا بنبرة خاضعة:

- حسنًا، حسنًا! كما تريدين.

تظاهر برفع قدمه اليمنى ليخطو إلى الأمام ثم أمال جسده إلى الخلف متعمدًا السقوط. صرخت (أمبروسين):

- (أرتيم)!

ثم ركضت بسرعة غير طبيعية لتقفز خلفه.

سرعان ما اتسعت عيناها حين رأت أن المنحدر ليس حادًا كما كانت تظن وأنه قريب للغاية.

ذُهل (أرتيم) حين رآها قد قفزت لتسقط عليه.

رفعت رأسها بثقل وهي تنظر إليه باستغراب. فأردف ممازحًا:

- لقد كسرتِ ضلوعي. لا أستطيع التنفس!

ضربته (أمبروسين) على كتفه وهي تتنهّد براحة وتستلقي إلى جانبه لتردف وهي تنظر إلى السماء:

- أيها الأحمق، لقد كنت تعلم وتظاهرت بأنه عالٍ وحاد!

(أرتيم) بهدوء:

- كان يجب أن تري وجهك حين انطلت عليك الخدعة.

(أمبروسين) بهدوء مماثل ساخر وهي تلتفت إليه:

- اعذرني لقلقي عليك!

(أرتيم) وهو يلتفت إليها ليقابل نظراتها:

- (أمبرو) قلقة عليَّ! هل تكنين المشاعر لي؟

اتسعت عيناها من جملته الأخيرة، فنهضت بسرعة لتُخفي خجلها:

- لا. ماذا؟ نحن أصدقاء.

بدأت تسير بخطوات بعيدة ثابتة حتى لا تُسقطها الثلوج، ليردف (أرتيم) وهو ينهض ويتبعها.

سار إلى جانبها وهو يغطي كتفَيها المكشوفتَين بسترته الدافئة:

- لا يهم، لكنني أفعل.

نظرت إليه وهما لا يزالان يسيران، علامات الذهول تعلو محياها محاولةً جاهدة إخفاء ابتسامتها.

(أرتيم):

- لنعد إلى القصر ونحتسي شيئًا دافئًا قبل أن تمرضي.

***

توقف (كيريل) أمام نافذة القصر الشاهقة الارتفاع يعقد يدَيه خلف ظهره وهو يراقب تساقط الثلوج الذي يشتد كل دقيقة تمر.

وخلفه حضر القائد (أبيفورت) الذي عُيِّنَ حديثًا قائدًا على الحرس الملكي.

(كيريل):

- هل غادر (ليونيد) بالفعل؟

(أبيفورت):

- نعم، وبرفقته القائد (أبيروف) ذهبا للبحث عن الملك السابق (سالار).

(كيريل) باستغراب:

- لكن لماذا الآن وبعد هذه الأشهر؟

(أبيفورت) بذهول:

- ألا تعلم! فقد انتشرت شائعة في القصر عن ورود رسالة يقال إنها بخط يد الملك السابق.

همهم (كيريل):

- آه! إذن ما سمعته بخصوص الرسالة التي لم يستطع مدوني القصر فهمها قد خُطَّت بخط يد الملك السابق!

(أبيفورت):

- تمامًا. لكننا نشتبه بشيء واحد وهو أن جلالته قد يكون في أدالبيرتا.

صمت (كيريل) للحظات فقطع الصمت (أبيفورت) وهو يسأله:

- هل ستأخذ إجازتك هذا الشهر أيضًا أيها الطبيب؟ غالبية من يعملون في القصر قد أخذوا إجازاتهم.

(كيريل):

- نعم، فقد حان الوقت لرؤية عائلتي.

(أبيفورت):

- أخبرنا موعد رحيلك، وسنؤمِّن لك عربة مريحة للسفر.

(كيريل):

- خلال يومين.

(أبيفورت) باستغراب:

- يومين؟ لكن الثلوج ستغلق الطرقات وقد تستغرق الرحلة وقتًا أطول من المعتاد. هل أنت واثق؟

هز (كيريل) رأسه وهو يهمُّ بالرحيل:

- لا بأس. لقد نشأت بين الثلوج.

حك (أبيفورت) ذقنه ليردف في نفسه:

- هل في إيليوس ثلوجٌ دائمًا؟

توجه (كيريل) حيث مكتبه ليأخذ حقيبته التي جهَّزها هذا الصباح، ـتفت إلى كل المعدات الطبية حوله:

يبدو أنني لن أستخدم هذه الأشياء بعد عودتي من رحلتي.

ليكمل بثقة:

- برفقة شعبي.

خرج من القصر ثم ركب عربته فأشار للسائق بالذهاب للمنزل.

تأمل (كيريل) السماء التي أصبحت بيضاء فابتسم:

- لا مزيد من ضوء الشمس حتى في النهار هذا الفصل نعيم لبني جنسي على عكس فصل الصيف الذي يُعتبر جحيماً على الأرض لنا.

***

سارت (بيرنا) لتقف على بُعد من مركز المدينة، نظرت إلى السماء وهي تهتف بمرح:

- أخيرًا! أستطيع الخروج في النهار بلا قبعة أو قفازات جلدية تؤلم أظافري.

جلست على الأرض وهي تنظر إلى الشعلات التي يقوم شباب ورجال لاراسيا بإشعالها داخل إناءات زجاجية تحوي على قطعة تشبه المظلة أعلاها وفي الأسفل ثقوب صغيرة جدًا لتُدخل الأكسجين إليها، وبعد إشعالها يثبتونها فوق الأعمدة.

تنهَّدت وهي تشعر بالهدوء أخيرًا.

وفجأة سمعت صراخًا من جانبها:

- احذري!

التفتت نحو مصدر الصوت بسرعة باستغراب لتتلقَّى كرة ثلجية كبيرة على وجهها.

هرول ناحيتها بسرعة ليجلس على أطراف أقدامه أمامها:

- آنستي، هل أنتِ بخير؟

أزالت (بيرنا) بقايا الثلج من على وجهها لتردف بنبرة غاضبة:

- من هذا الأحمق الذي رماها عليَّ؟!

وحين اتضحت رؤيتها وجَّهت نظرها نحوه، لكن غضبها تلاشى بسرعة حين رأته أمامها.

نظرته باهتة، لكن ابتسامته مشرقة. شعره داكن وبشرته شاحبة وعيناه رماديتان بحاجبين عريضين وفك محدد، يرتدي سترة سوداء تبدو دافئة ببنطال أسود وقفازين يغطيان الكف فقط.

أردفت (بيرنا) في نفسها:

- نظرته! إنها نظرة قاتل قد أراق الكثير من الدماء. ورأى أعدادًا كبيرة من الجثث. من المستحيل أن أُخطئ التعرف على ذلك.

التفت الشاب نحو طفل ما كان على بُعد منهما:

- تعال إلى هنا واعتذر عما فعلته!

تقدم الطفل وهو يضع يدَيه خلف ظهره ويحفر بقدمه اليمنى الأرض وهو ينظر إلى الأسفل بكلمات متقطعة:

- أعتذر سيدتي عن إلقاء كرة من الثلج عليكِ!

ابتسم الشاب له ثم التفت نحو (بيرنا) ينتظر ردها، فهزَّت رأسها تنفض تلك الأفكار التي اجتاحتها:

- آه! حسنًا! أعني لا بأس.

التفت الشاب إلى الطفل:

- جيد. اذهب والعب مع باقي الأطفال واحذر أن يُلقي أحدكم مجددًا كرة من الثلج على الغرباء! دقائق قليلة وسنعود إلى المنزل.

هرول الطفل عائدًا إلى أصدقائه، بينما بقيت (بيرنا) شاردة فيه:

- ملابسه، إنه يرتدي السواد. بنية جسده رياضية للغاية. كلها مواصفات تأكِّد شكوكي.

مد الشاب يده:

- أُدعى (كايوس)، سررت بلقائك!

ابتسمت (بيرنا) ابتسامة جانبية وهي تردف في عقلها:

- إن كان قاتلًا بالفعل فهو نوعي المناسب.

مدَّت يدها تصافحه:

- (بيرنا إيريبوس).

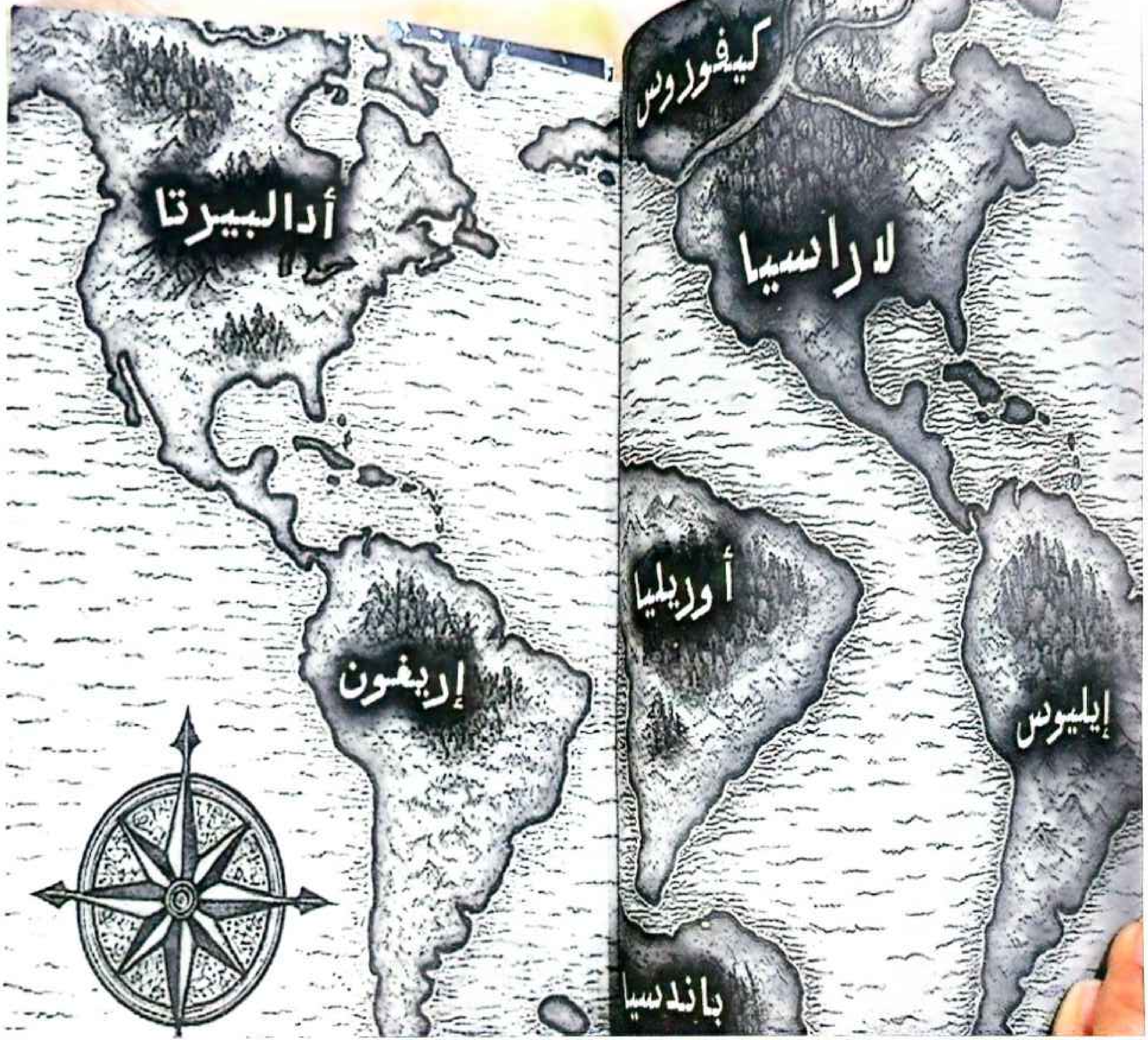
أدالبيرتا
كيفوروس
لارانسيا
إربغون
أوريليا
إيليوس
باندسيا

ابتسم (كايوس):

- بالمناسبة هل تعرفين نهرًا أو ساحلًا قريبًا من هنا يحتوي على عدد وفير من الأسماك؟

أثار ذلك استغراب (بيرنا):

- أسماك؟!

(كايوس) موضحًا:

- أعني أنني قد شاركت قليلًا بإيواء أولئك الأطفال، وأريد تأمين الطعام لهم لكن لعددهم الكبير فنحن نواجه صعوبة بشراء اللحم. لذلك أريد اصطياد السمك لهم.

(بيرنا) بنبرة خبيثة وابتسامة جانبية:

- إذا كنت من سكان شعب لاراسيا فستعلم بالضبط أين تجد النهر الذي يصطاد منه الشعب ويأكلون من خيراته دون أن ينفقوا المال. إلا إذا كنت تريد التقرُّب مني بسؤال غريب كهذا.

(كايوس):

- لا، لا. حقًا أنا لا أعرف و...

رفع يديه ممازحًا:

- ونعم، لقد كشفتني فقد وصلت مؤخرًا إلى لاراسيا. أنا لست من هذه المملكة.

ابتسم (كايوس):

- بالمناسبة هل تعرفين نهرًا أو ساحلًا قريبًا من هنا يحتوي على عدد وفير من الأسماك؟

أثار ذلك استغراب (بيرنا):

- أسماك؟!

(كايوس) موضحًا:

- أعني أنني قد شاركت قليلًا بإيواء أولئك الأطفال، وأريد تأمين الطعام لهم لكن لعددهم الكبير فنحن نواجه صعوبة بشراء اللحم. لذلك أريد اصطياد السمك لهم.

(بيرنا) بنبرة خبيثة وابتسامة جانبية:

- إذا كنت من سكان شعب لاراسيا فستعلم بالضبط أين تجد النهر الذي يصطاد منه الشعب ويأكلون من خيراته دون أن ينفقوا المال. إلا إذا كنت تريد التقرُّب مني بسؤال غريب كهذا.

(كايوس):

- لا، لا. حقًا أنا لا أعرف و...

رفع يديه ممازحًا:

- ونعم، لقد كشفتني فقد وصلت مؤخرًا إلى لاراسيا. أنا لست من هذه المملكة.

(بيرنا) مخاطبة نفسها:

- إذن، لقد هربت لتبدأ صفحة جديدة.

كم هذا متوقع.

أجابته:

- من أين أنت؟

(كايوس):

- أدالبيرتا. لقد جئت من هناك.

اتسعت عيناها دهشة:

- أدالبيرتا؟ لا بد أنها كانت رحلة طويلة وشاقة.

هز (كايوس) رأسه:

- بالفعل، لقد كانت رحلة مزعجة.

(بيرنا):

- هل جئت وحدك؟

(كايوس):

- نعم، لكن عائلتي ستأتي قريبًا أيضًا، يمكننا القول بأنني سبقتهم أولًا لرؤية الحال في لاراسيا.

صمتا للحظات، فأردفت وهي تنهض:

- حسنًا، سأرشدك إلى ذلك النهر.

لكن تقدم أحد الأطفال:

- (كايوس)، إن (مارثا) تشعر بالبرد، وهي ترتعش للغاية.

(كايوس):

- يا للهول، أظن أن الوقت قد حان للعودة إلى المنزل قبل أن تتجمدوا جميعًا.

نهض (كايوس) مخاطبًا (بيرنا):

- هل يمكنني لقاؤكِ مرة أخرى؟

هزت (بيرنا) رأسها بتفهم فأكمل:

- متى؟

(بيرنا):

- بعد يومين في نفس الوقت ونفس المكان.

ودعها وغادر، ولكن نظراتها لا تزال تتبعه، فقد توجه حيث الفتاة الصغيرة، ثم حملها بخفَّة بين ذراعَيه وحوله تبعه الأطفال الآخرون.

(بيرنا) محاورةً نفسها:

- لا يبدو قاتلًا على الإطلاق بالنظر إلى تعامله مع الأطفال، وهذا بالضبط ما يؤكد لي أنه قاتل محترف.

***

في ميناء لاراسيا.

اصطف الناس بطوابير منظمة قد نظمها الحراس أمام كل سفينة تستعد للإبحار، كلٌّ يحمل حقيبته أو يجرها بجانبه، عائلات متحمسة للعودة إلى وطنها وبعضها متحمس لبدء عطلته وإمضائها في بلاد أخرى، رجال أعمال يستعدون لبدء أعمالهم في ممالك أخرى أيضًا.

نساء يجررن حقائبهن الثقيلة، أطفال يركضون ضاحكين بين الأرصفة، رجال يتبادلون الأحاديث بينما يصطفون لقطع التذاكر، وأُسر تتعانق استعدادًا للرحيل.

عدا أولئك الاثنين اللذَين توقفا في بداية الطابور للسفينة التي تستعد للذهاب إلى مملكة أدالبيرتا.

(ليونيد):

- ستكون رحلة طويلة للغاية. هل تعتقد أن جلالته (سالار) حقًّا هناك؟

(أبيروف) وهو يتنهَّد بعمق ناظرًا إلى البحر أمامه:

- لنأمل ذلك!

ارتفعت صافرة السفينة الأولى المتجهة إلى إيليوس، فشقَّت صمت الصباح معلنةً انطلاقها، صفَّق بعض الأطفال ملوحين لها بحماس وهي تبتعد شيئًا فشيئًا عن الميناء.

ثم تلتها صافرة السفينة الثانية المتجهة إلى باندسيا، وقد بدأت تغلق بواباتها استعدادًا للإبحار، لتنطلق بعد دقائق تاركة خلفها أثرًا أبيض على صفحة البحر الزرقاء.

وبعدها مباشرة، فُتحت بوابة السفينة الثالثة، سفينتهم المنشودة، المتجهة إلى أدالبيرتا.

***

على ضفاف مملكة أدالبيرتا كانت هناك قرية صغيرة تبعد قليلًا عن مركز المدينة، يقطنها سكان بسطاء الحال.

ركض (سالار) بسرعة بين حقول القمح وهو يمسك بيد (ريديا) لتردف بقلق:

- هل ما زالوا يتبعوننا؟!

(سالار) بحزم:

- أظن ذلك، يجب أن نغادر هذا المكان فورًا!

(ريديا) بذعر:

- لكن من هؤلاء؟!

(سالار) وهو يحدِّق في الأفق:

- مهلًا، أظنني أرى نهاية هذا الحقل!

(ريديا) ملتفتة إلى الخلف:

- يجب أن نجد مكانًا للاختباء قبل حلول الليل.

خرجا أخيرًا من ذلك الحقل الكبير، لكن (سالار) توقف فجأة ليتجمَّد مكانه وتتَّسع عيناه وهو ينظر حيث أشجار الغابة أمامه:

- لنغيِّر اتجاهنا على الفور!

أشار إلى اليمين:

- لنذهب من هنا!

صرخت (ريديا) بذعر:

- ما هذا!

لكن (سالار) سحبها من يدها اليمنى بسرعة، وبيدها اليسرى ما زالت تمسك طرف فستانها لتستطيع الركض، فغيَّرا طريقهما، لكن عينَيها لا تزالان مثبتتان على المنظر خلفها، جثث دامية تخترق رؤوسها فروع الأشجار لتعلق عاليًا بمنظر مهيب، بينما تقطر من أسفل أقدامها الدماء لتروي الأرض.

2

في مملكة لاراسيا.

أغلق الباعة متاجرهم مبكرًا هذا اليوم بسبب تراكم الثلوج وإغلاقه الطرقات، ليل صامت لا يُرى فيه سوى ضوء البرق، ولا يُسمع فيه سوى هدير الرعد.

ركض رجل يبدو في منتصف عمره نحو منزله مباشرةً وقد تعثر عدة مرات لكن في آخر مرة لوى كاحله ولم يستطع النهوض. صرخ الرجل ثم توسَّل:

- أرجوكِ ابتعدي عني! ابتعدي!

قطع صوته حين غرزت أنيابها في عنقه لتتناثر دماؤه على الثلج ويصطبغ به.

بينما داخل ذلك المنزل كانت زوجته تحضر الطعام، توقفت للحظات حين سمعت صرخته، فألقت ما بيدها على الفور وأمرت طفلها ذا الأربع سنوات الذي نظر إليها بذعر، أن يختبئ على الفور.

ارتدت عباءتها بسرعة وهمَّت بالخروج من المنزل وتتفقَّد حوله، قبض قُلبها حين انتبهت إلى قطرات من الدماء تحت قدمَيها مباشرةً. تتبَّعت هذه القطرات حتى وصلت إلى بقعة أخرى كبيرة من الدماء، سقطت على ركبتَيها ويداها ترتعشان وهما تتلمَّسان الثلج الأحمر. رفعت رأسها على الفور وهي تردف بنبرة مرتعبة:

- طفلي!

توقفت على قدميها على عجل وقد شعرت بقلبها يكاد يحطم ضلوعها ليخرج من مكانه بسبب شعورها بالخطر، أنفاسها أصبحت حادة، وكأنَّ كل نفَس تأخذه عبارة عن خنجر يطعن رئتيها. دخلت منزلها على الفور وبدأت تنادي عليه بنبرة ذعر متظاهرةً بالطمأنينة:

- عزيزي، اخرج! أين أنت؟

لم يخرج ابنها من مخبأه، فبدأت تبحث عنه بأسًى، لكن لا وجود له.

***

انتهت (أندروميدا) من إضاءة الشموع بمساعدة (بيرنا)، وعلى المائدة جلست (أمبروسين) يسار والدها و(بيرنا) بجانبها، ثم جلست (أندروميدا) مقابلهما.

(كيريل) مخاطبًا ابنتَيه:

- هل أنتما متأكدتان بعدم رغبتكما في مرافقتنا؟

أردفت (أمبروسين) بسرعة:

- نعم يا أبتي.

نظر (كيريل) نحو (بيرنا) فأجابت وهي تحرك كأس الدماء أمامها قبل أن ترتشف منه:

- سأبقى هنا، فأنا لا أحبذ السفر عبر البحر.

(أندروميدا):

- هل ستكونان قادرتان على الاعتناء بنفسيكما طوال فترة غيابنا؟

(أمبروسين):

- بالتأكيد يا أمي، ماذا سيحصل!

(أندروميدا) بتحذير وهي توجِّه إصبعها نحوهما:

- لا تثيرا المتاعب، (بيرنا)، الخروج من المنزل عند الضرورة فقط، (أمبروسين)، لا لقاءات كثيرة مع جلالته. وكلاكما ممنوعتان من استخدام قدراتكما خارج المنزل.

(أمبروسين) مطمئنة:

- لا تقلقي يا أمي، سنحرص على ذلك.

رمقتها (بيرنا) نظرات ساخرة لتهمس:

- حقًّا؟!

فضربتها (أمبروسين) بخفة على قدمها ثم نظرت إليها:

- نعم.

رفعت (بيرنا) نظرها وهي تبتسم بسخرية، لكن تلك الابتسامة تلاشت بسرعة حين انتبهت لنظرات والدَيها لها. فعدلت جلستها:

- نعم، بالطبع كما تقول (أمبرو).

***

مضى اليومان بشكل هادئ على الجميع، وفي الصباح كان الجو قد ازداد برودة.

على أعتاب قصر عائلة (إيريبوس). توقفت الأختان تودعان والدَيها وهما يغادران بالقافلة التي جهَّزها الملك (أرتيم) لهما، ليضمن أن رحلتهما آمنة ومريحة.

اختفت القافلة بين الثلوج والضباب فهمّت (بيرنا) بارتداء معطفها لتستعد للرحيل.

استوقفتها (أمبروسين):

- أين تذهبين؟

(بيرنا):

- سألتقي بأحد.

(أمبروسين):

- من؟ أنتِ لا تملكين حتى أصدقاء؟

(بيرنا) بنبرة ساخرة وهي تهمُّ بالرحيل:

- وكأنك لا تنوين الذهاب إلى عزيزك (أرتيم) الآن!

(أمبروسين):

- حسنًا، فقط لا تتأخري وعودي إلى المنزل قبل منتصف الليل.

هرولت (بيرنا) بخفَّة وهي تسير فوق الثلوج متوجهةً إلى ذلك

المكان وهي تدندن:

- الطريق يناديني، والبحر يفسح لكم، والسماء تراقبني... تنتظر قدومكم.

أخيرًا بعد سنوات، سأراكم بعيوني، ما هي إلا أسابيع وتكونون حولي!

بعد دقائق ليست بقليلة، وصلت إلى المكان المنشود.

(بيرنا) باستغراب:

- هل وصلت مبكرًا؟

جاءها الصوت من خلفها:

- لا، بل في الوقت تمامًا.

التفّت (بيرنا) بسرعة نحوه:

- (كايوس)، هل كنت تتبعني؟

هزَّ (كايوس) رأسه، فأكملت:

- منذ متى؟

(كايوس):

- منذ الطريق يناديني، والبحر يفسح لكم، والسماء تراقبني...

(بيرنا):

- لماذا لم تُوقفني؟

(كايوس):

- لقد كانت أغنية رائعة، أردت سماعها إلى الآخر.

صمتت (بيرنا):

- لكن من الغريب أنني لم أشعر بوجودك خلفي.

(كايوس) متظاهرًا بالمزاح:

- حقًّا غريب! إذن هل سترشدينني إلى النهر؟

هزَّت (بيرنا) رأسها بالإيجاب وهي تشير بإصبعها نحو الغابة:

- سنتَّجه إلى هناك أولًا.

(كايوس):

- الغابة؟ أليس ذلك خطيرًا؟!

(بيرنا) وهي تقهقه بسخرية:

- لماذا؟ هل تظن أن الأشياء المجانية سيكون طريقها سهلًا؟ إنها مجانية لسبب.

سار كلٌّ منهما بجوار الآخر، ليردف:

- ألا يوجد دِببة أو ذئاب؟

(بيرنا):

- بالطبع لا.

أردف (كايوس) بارتياح:

- هذا مريح، لقد كنت قلقًا، فقد سمعت شائعات حول موت العديد من الأشخاص في هذه الغابة.

(بيرنا) رادفة بسخرية:

- ماذا؟ لا. إنها قصص لإخافة الأطفال حتى لا يذهبوا بمفردهم إلى هناك.

ثم أكملت في نفسها:

- هل ستتظاهر بالجُبن الآن؟ سأجعلك تزيل هذا القناع المزيف حين أريك واحدًا. ثِق بي!

***

الملك (أرتيم):

- فليجتمع عدة مدونين لتحليل الرسالة التي وصلت من أدالبيرتا!

(أبيفورت):

- أمر جلالتك!

الملك (أرتيم):

- ماذا عن عائلة (إيريبوس)؟

(أبيفورت):

- لقد غادر الطبيب (كيريل) برفقة زوجته هذا الصباح بأمان.

الملك (أرتيم):

- جيد.

أكملا سيرهما حتى دوى صوت لصراخ امرأة وهي تبكي وتنوح مطالبة برؤية الملك.

توقف الملك عن السير:

- ما هذا؟

(أبيفورت) بانزعاج وهو يتمتم:

- ألم يستطيعوا إخراجها من القصر!

الملك (أرتيم):

- إخراج مَن؟ ماذا هناك.

(أبيفورت):

- أعتذر جلالتك، إنها امرأة مجنونة، سآمر الحراس بإخراجها الآن.

الملك (أرتيم):

- لا، إن كانت تريد لقائي فليكن ذلك.

غير (أرتيم) مساره لينزل عبر الدروج حتى البهو أمام مدخل القصر، فرأى امرأة بحالة رثّة للغاية، وجهها شاحب. بدا أنها لم تنم أو تأكل منذ فترة. بينما كان الحراس يحاوطونها وهم يجرُّونها إلى الخارج.

الملك (أرتيم):

- أتركوها!

تركها الحراس على الفور واصطفوا بشكل منتظم خلفها، ما إن رأته المرأة حتى زحفت نحوه لتستقر عند قدمه وهي تتوسَّله:

- أرجوك، ابحث عن ابني! وزوجي أظنه قُتل.

لم يفهم الملك كلماتها فجلس على ركبته وهو يمسك كتفها محاولًا تهدئتها:

- ماذا حصل؟

صمتت المرأة وهي تغمض عينَيها للحظات، ثم تنهَّدت قبل أن تجيبه:

- قبل يومين، كان الظلام قد حل، وكان أيضًا موعد عودة زوجي من العمل، انشغلت في طهو الطعام حين سمعت صراخًا صادرًا من الأرجاء. كان طفلي قد سمع ذلك أيضًا وجاء إليَّ، حين أمرته بالاختباء لتفقُّد المكان، وحين عُدت لم أجده.

حضرت (روبي) برفقة (فيرا) بعد سماعهما أيضًا الفوضى.

(روبي):

- ماذا يحصل هنا؟

(فيرا):

- من هذه؟

الملك (أرتيم):

- هل أحكمتِ إغلاق الباب قبل خروجك؟

هزت رأسها بسرعة:

- نعم فعلت. أنا متأكدة من ذلك.

القائد (أبيفورت):

- يبدو أنه أراد اللحاق بك وفتح الباب.

نفت بسرعة:

- لا، غير ممكن. فهو لا يستطيع الوصول إلى مقبض الباب. لقد تعمَّدتُ أنا وزوجي جعل المقبض عاليًا حتى لا يستطيع فتحه حين ننام.

الملك (أرتيم):

- وزوجك؟

صمتت لوهلة قبل أن تجيب:

- لم يعُد منذ تلك الليلة حتى الآن.

نظر الملك إلى القائد باستغراب.

القائد (أبيفورت):

- ماذا تقصدين؟

المرأة:

- ذلك الصراخ، لوهلةٍ ظننته صراخ زوجي، لكني لست متأكدة.

صرخت حين تذكَّرت شيئًا:

- لقد كانت هناك بقعة دماء قريبة حول المنزل!

انهارت مرة أخرى لتردف بهستيرية وهي تشدُّ كم قميص الملك:

- هل قُتلا! هل ماتت عائلتي!

اقترب منها الحراس حين فقدت سيطرتها وأبعدوها عنه، لكن (أرتيم) اقترب منها مطمئنًا:

- سأرسل فيلقًا للتقصِّي عن الأمر. لا تقلقي!

وجَّه نظره إلى الحراس:

- هل هناك طبيب في القصر؟

القائد (أبيفورت) مجيبًا نيابةً عنهم:

- نعم جلالتك، لقد وضعنا طبيبًا بديلًا حتى عودة الطبيب (كيريل).

الملك (أرتيم):

- عالجوا إصاباتها وقدموا لها الطعام ومكانًا للإيواء.

تدخَّلت (روبي) وهي تتوجه نحوها مخاطبةً الحراس:

- دعوها لي، سأتولى ذلك.

ساندتها (روبي) وهي تطمئنها:

- لا تقلقي عزيزتي، سيكون كل شيء على ما يرام.

وعلى الجهة الأخرى ساندتها أيضًا (فيرا):

- ملابسك ممزقة. لنغيرها أولًا!

الملك (أرتيم):

- شكرًا (روبي).

أومأت له (روبي) بتفهُّم:

- لا بأس، جلالتك!

***

بعد ساعات في مكان آخر وبين أحضان الجليد وعتمة الليل والأشجار المخيفة.

سقطت (أمبروسين) بقوة على الأرض لتصرخ:

- اهرب بسرعة!

أطلق الطفل العنان لقدميه وهو يركض بين الأشجار، أنفاسه تجمَّدت من البرد، ومعدته الصغيرة تطلب الإنقاذ.

التفت خلفه فوجد الذئاب لا تزال تلاحقه.

عاودت صراخها وهي تلحق بالذئب الذي كاد ينقض على الطفل:

- لا تلتفت إلى الوراء!

وسرعان ما برزت أنيابها وغرزت في ظهر الذئب، ليسقط ويتدحرج
رق الثلوج وتسقط (أمبروسين) معه.

حاول الذئب المقاومة للحظات ثم فارق الحياة بعد أن غرزت
نخالبها في جسده، عادت باقي الذئاب عدة خطوات إلى الخلف ثم
هربت الذئاب عائدةً إلى قلب الغابة.

أردفت (أمبروسين) وهي تنهض، بينما أنيابها تقطر دمًا:

- هكذا إذن تهربون!

مسحت الدماء من حول فمها ثم التفتت نحو الطفل الذي توجَّه
راكضًا نحوها ليغرز رأسه بين قماش فستانها.

جلست (أمبروسين) على ركبتَيها وهي تمسكه برفق من كتفَيه:

- أين والداك؟

هزَّ الطفل رأسه دون أن يردف حرفًا، فأكملت:

- هل تعرف طريق العودة إلى المنزل؟

التفت الطفل نحوه، ثم وجَّه نظراته إليها لتكمل هي بعدما أدركت
مقصده:

- لا تعرف أيضًا؟

أردف الطفل أولى كلماته معها بصوت هادئ:

- برد.

(أميروسين) بذهول:

- ظننتك لا تستطيع الكلام.

أكمل الطفل:

- جائع.

(أميروسين) محاولة فهم مقصده:

- هل تشعر بالبرد والجوع؟

هز الطفل رأسه إيجابًا وهو يبتسم لفهمها إياه.

التفتت (أميروسين) حولها:

- لكن أين سآخذك؟! منزلي بالتأكيد غير مناسب أو صالح لك. مهلًا، القصر سيكون مكانًا مناسبًا، وسيبحث الملك عن عائلتك.

صمتت للحظات لتردف بيأس:

- لكن القصر الآن بعيد لنسير إليه، ولا أظنك ستصمد حتى نصل.

فكرت للحظات تقلّب عينيها حولها ونحو الطفل حتى وصلت إلى فكرة، خلعت ردائها لتبقى بفستان أخضر داكن مكشوف الذراعين والأكتاف وغطّت به الطفل بشكل كامل، ثم حملته بين ذراعَيها.

(أميروسين):

- أغمض عينَيك وستشعر بأنك تسابق الريح حسنًا؟ ستكون هذه لعبة لطيفة وسرّنا الصغير أيضًا.

هز الطفل رأسه بابتسامة عريضة بعدما سمع كلمة لعبة.

بعدما تأكَّدت (أمبروسين) من تغطية رأسه بشكل كامل، ركضت باستخدام قدرتها نحو القصر فورًا.

على بُعد عشرات الأمتار ومن بين الأشجار راقبتها تلك العيون بذهول وهمست:

- ما الذي شهدته عيناي توًّا؟!

3